

دراسات نقدية هادفة عن مواقف الصحابة

بعد وفاة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -

الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى

-مواقفهم منها ، ودورهم في الحد منها -

الدكتور خالد كبير علال

دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي من جامعة الجزائر

الطبعة الأولى

- ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م -

دار البلاغ

-الجزائر-

الإهداء

إلى ابنتي إكرام

أهدي هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على الرسول الكريم ، و بعد : هذا هو البحث السابع من سلسلة دراسات نقدية هادفة عن مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول -عليه الصلاة و السلام- . و قد خصصته لدراسة مواقف الصحابة المعتزلين للفتنة ، لما لها من أهمية بالغة في نظرنا للفتنة و حوادثها ، و في التعرف على مواقف و أدلة كبار الصحابة المعتزلين لها من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار ، لتكون لدينا نظرة متزنة و شاملة و صحيحة ، لكل من المعتزلين للفتنة و الخائضين فيها ، من الصحابة الكرام ، رضوان الله عليهم أجمعين .

و قد اتبعت في بحثي هذا منهجا علميا موضوعيا ، جمع بين نقد الأسانيد و متونها حسب منهج أهل الحديث ، و قد اجتهدت في الالتزام به قدر المستطاع ، و حسب ما تسمح به طبيعة الروايات التاريخية التي لاتصل في ضبطها و تدوينها ما وصلت إليه الأحاديث النبوية ، من عناية فائقة تدوينا و ضبطا ، على مستوى الأسانيد و المتن .

و بحثي هذا هو محاولة لإعادة كتابة حوادث الفتنة الكبرى ، وفق منهج علمي صحيح ، لتنقيتها من الأباطيل ، و وضعها في مسارها التاريخي الصحيح . و أرجو أن يجد قبولا لدى المختصين و المثقفين على

حد سواء . و أن يفتح أفاقا للبحث العلمي الموضوعي في تاريخ صدر الإسلام و قضاياها . و الله تعالى أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ،و أن ينفع به قارئه و كل من سعى في إخراجہ و توزيعه ،و أن يوفقني لإتمام إصدار باقي بحوث السلسلة ، إنه تعالى سميع مجيب ،و على كل شيء قدير ،و بالإجابة جدير .

خالد كبير علال

-أستاذ جامعي-

الفصل الأول

الصحابة المعتزلون للقتال في الفتنة

تباين مواقف الصحابة من القتال في الفتنة :

لما قتل الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه - اختلف الصحابة في أمر قتلته ، فطائفة طالبت الخليفة الجديد : علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالإسراع في الاقتصاص من هؤلاء القتلة ، و طائفة ثانية طالبت عليا بالاقتصاص من القتلة و جعلته شرطا لمبايعته ، و طائفة ثالثة وافقت هؤلاء في ضرورة الاقتصاص من قتلة الخليفة الشهيد ، لكنها كانت ترى ضرورة تأخيرها حتى تنهيا الظروف لتنفيذه ^١ .

فالطائفة الأولى مثلها الصحابييان : طلحة بن عبيد الله ، و الزبير بن العوام -رضي الله عنهما - و كانا قد طلبا من علي أن يعينهما واليين ليجمعان له العساكر فلما لم يستجب لهما ، التحقا بمكة المكرمة و بها استنفرا الناس و جمعوهم للمطالبة بدم الخليفة الشهيد المقتول ظلما و عدوانا ^٢ .

و الطائفة الثانية هي أهل الشام ، و في مقدمتها : معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و النعمان بن بشير -رضي الله عنهم- ^٣ .

^١ ابن كثير : البداية و النهاية ، ط ٣ بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٩٨١ ، ج ٧ ص : ٢٢٨ ، ٢٢٩ . و ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، بيروت المكتبة العلمية ، ج ٣ ص : ١٠٢ . و الطبري : تاريخ الأمم و الملوك ، بيروت المكتبة العلمية ، ١٩٩١ ، ج ٢ ص : ٧٠٢-٧٠٣ .

^٢ الطبري : المصدر السابق ج ٢ ص : ٧٠٣ . و ابن كثير : المصدر السابق ج ٧ ص : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ و ما بعدها .

^٣ الذهبي : الخلفاء الراشدون ، حققه حسام الدين القدسي ، بيروت دار الجيل ، ١٩٩٢ ، ص : ٣٣١ . و سيرة أعلام النبلاء ، حققه محمد الجاوي ، مصر دار المعارف د ت ، ج ٢ ص : ٣٣٤ . و ط بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ج ٣ ص : ٩١ .

و أما الطائفة الثالثة فمثلها الخليفة علي بن أبي طالب، و من معه كابن عباس، و عمار بن ياسر، و الحسن و الحسين، -رضي الله عنهم - و بما أن عليا هو الخليفة فإنه أصر على موقفه في تأجيل القصاص، و عزم على استخدام القوة تجاه من خالفه و لم يبايعه من الطائفتين السابقتين، و أعلن لجنده أن قراره هذا هو مجرد اجتهاد شخصي و رأي رآه أنه يحقق الطاعة و وحدة الجماعة، و لم يدع أن معه نصوصا سمعها من رسول الله - عليه الصلاة و السلام-^١.

فهذا التباين في وجهات النظر، و الإصرار على المواقف هما اللذان جرا الطوائف الثلاث إلى الاقتتال، مما أدى إلى ظهور طائفة رابعة اعتزلت الجميع و نأت بنفسها بعيدا عن القتال، و عدته فتنة، و دعت الناس إلى عدم المشاركة فيه. فمن مثل هذه الطائفة؟ و ما هي مبرراتها و أدلتها التي اعتمدت عليها في اعتزالها للفتنة؟.

أشهر الصحابة المعتزلين للقتال في الفتنة:

اعتزل أكثر الصحابة القتال^٢ في موقعي الجمل و صفين في سنتي: ٣٦-٣٧ هـ، و أبوا أن يخوضوا في دماء المسلمين، فمنهم من اعتزل الفتنة عزلة مطلقة، و منهم من اعتزلها و اجتهد في دعوة الناس إلى اعتزالها، و منهم من انتسب إلى إحدى الطائفتين المتنازعتين ثم انسحب كلية من

^١ الذهبي: الخلفاء الراشدون ص: ٣٢٩، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠. و ابن كثير: المصدر السابق ج ٧ ص: ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٢٩. و ابن تيمية: المصدر

السابق ج ٣ ص: ١٥٦، ٢٢٠، ٢٢١، و ج ٤ ص: ١٢١.

^٢ عن عددهم، و عن الخائضين في الفتنة، أنظر الفصل الثاني.

الفتنة ، و منهم من اعتزلها في الجمل و صفين ثم انظم إلى علي في حربه للخوارج ، و منهم من حمد الله تعالى على ذهاب بصره قبل أن يراها .

فمن الذين اعتزلوا الفتنة مطلقا : سعد بن أبي وقاص ، و عبد الله بن عمر ، و محمد بن مسلمة الأنصاري ، و سلمة بن الأكوع ، و سعيد بن زيد^١ ، و صهيب بن سنان الرومي ، و أسامة بن زيد ، و أبو هريرة ، و هيب بن مغفل ، و المغيرة بن شعبة^٢ ، و عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، و سعيد بن العاص ، و معاوية بن حديج الأمير ، و زيد بن ثابت ، و كعب بن عجرة^٣ ، و سليمان بن ثمامة بن شراحيل ، و عبد الله بن مغفل ، و عبد الله بن سلام ، و أهبان بن صيفي ، و الحكم بن عمرو الغفاري^٤ - رضي الله عنهم - .

و من مواقفهم في اعتزال الفتنة : موقف الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ، فقد جاء في خبر صحيح الإسناد ، عن عبد الرزاق ، عن

^١ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص: ١٢٨ . و ابن حجر : فتح الباري ، حققه محب الدين الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ ، ج ١٣ ص: ٤٢ .

^٢ الذهبي : نفس المصدر ج ٢ ص: ١٨ ، ٥٠٤ . و ابن تيمية : المصدر السابق حققه محمد رشاد سالم ، ط ١ ، د م ، مؤسسة قرطبة ، ج ٨ ص: ١٤٦ . و ابن حجر : الإصابة في معرفة الصحابة ، ج ٦ ص: ١٩٨ ، ٥٢٩ . و تعجيل المنفعة ، ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د ت ، ج ١ ص: ٤٢٩ .

^٣ الذهبي : المصدر السابق ج ٣ ص: ٤٤٥ . و تذكرة الحفاظ حققه حمدي السلفي ، ط ١ الرياض ، دار الصميعي ، ١٤١٥هـ ج ١ ص: ٣٠ . و ابن عبد البر: الاستيعاب ، ط ١ ، بيروت دار الجيل ١٤١٢ ج ٢ ص: ٥٣٧ . و النووي: تهذيب الأسماء ط ١ بيروت، دار الفكر ، ١٩٩٦ ج ١ ص: ٢٥٤ .

^٤ ابن حجر: الإصابة ، ج ٣ ص: ١٣٧ ، و ج ٤ ص: ١١٩ . ابن كثير: المصدر السابق ج ٧ ص: ٢٣٤ . و محمد أمخزون : تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ، ط ٣ الرياض ، دار طيبة الرياض ، ١٤٢٠هـ ، ج ٢ ص: ١٧٠ . و ابن ماجه : السنن بيروت دار الفكر ، د ت ج ٢ ص: ١٣٠٩ . و الذهبي : المصدر السابق ج ٢ ص: ٤٧٤ .

معمر بن راشد ، عن أيوب السخيتاني ، و عن محمد بن سيرين ، أنه قيل لسعد : ألا تقاتل ، فانك من أهل الشورى ، و انت أحق بهذا الأمر من غيرك ؟ قال : ((لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ، و لسان و شفتان ، يعرف الكافر من المؤمن ، و قد جاهدت و أنا أعرف الجهاد ، و لا أبجع نفسي إن كان رجل خيرا مني))^١

و ورد في رواية أخرى أن أحد أبناء سعد بن أبي وقاص ، قال لوالده : نزلت في إبلك و غنمك و تركت الناس يتنازعون الملك ، فضرب سعد صدر ولده عمر و قال له : ((اسكت سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي))^٢ . و في رواية لأحمد بن حنبل أن سعدا قال لابنه عمر : ((أي بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسا ، لا و الله حتى أعطي سيفا إن ضربت به مؤمنا نبا عنه ، و إن ضربت به كافرا قتلته ، و قد سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ((إن الله عز وجل يحب الغني الخفي التقي))^٣ .

و جاء رجل إلى سعد بن أبي وقاص ، و قصّ عليه مناما رآه عن الفتنة ، ثم قال له : مع أي الطائفتين أنت ؟ فقال سعد : ما أنا مع واحدة منهما ، فقال الرجل : فما تأمرني ؟ قال : هل لك من غنم ؟ قال : لا ، فقال له سعد : فاشتر غنما ، فكن فيها حتى تنجلي الفتنة^٤

^١ معمر بن راشد : الجامع ، ط ٢ بيروت المكتب الإسلامي ، ج ١١ ص : ٣٥٧ .

^٢ مسلم : صحيح مسلم ، بيروت دار إحياء التراث العربي د ت ، ج ٤ ص : ٢٢٧٧

^٣ أحمد بن حنبل : المسند ، مصر مؤسسة قرطبة ، د ت ج ١ ص : ١٧٧ .

^٤ إسناده هذا الخبر صحيح على ما ذكره المحقق . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص : ١٢٠ .

و روى المؤرخ شمس الدين الذهبي -بلا إسناد- أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كان يغبط سعد بن أبي وقاص ، و عبد الله بن عمر -رضي الله عنهم - و يقول : ((لله منزل نزله سعد و ابن عمر ، لئن كان ذنباً لصغير ، و لئن كان حسناً إنه لعظيم))^١ . و قوله هذا صحيح المعنى و جدير بالتنويه و الاعتبار ، لأن الفتنة جرّت على المسلمين مصائب كثيرة ، و أورثتهم الفرقة و العداوة ، و البغضاء و الاقتتال ، و لم ينج منها إلا الذين اعتزلوها .

و أما محمد بن مسلمة الأنصاري -رضي الله عنه - فقد اعتزل موقعي الحمل و صفين و اتخذ سيفاً من خشب ، و خرج من المدينة إلى بادية الرّبذة و أقام بها ، و كان ذلك بأمر نبوي ، على ما ذكره الحافظ الذهبي . و هو من نجباء الصحابة ، شهد بدراً و المشاهد الأخرى^٢ . و هو الذي قال فيه رسول الله -صلى الله عليه و سلم-: ((لا تضرّه الفتنة)) و في رواية ((لا تضرّك الفتنة))^٣ .

و في رواية^٤ للتابعي أبي بردة بن أبي موسى (ت ١٠٤هـ) أنه مر -أيام الفتنة- بمحمد بن مسلمة بالربذة ، فقال له : لو خرجت إلى الناس

^١ الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص: ٢٢ . و نفس المصدر ج ١ ص: ١٢٢ .

^٢ الذهبي: السير ج ٢ ص: ٢٦٦ ، ٣٦٩ . و الكاشف ، حققه محمد عوامة ، ط ١ جدة ، دار الثقافة الإسلامية ، ١٤١٣ ج ٢ ص: ٢٢٢ .

^٣ رواه الحاكم و صححه . المستدرک علی الصحیحین ، حققه عبد القادر عطا ، ط ١ بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠ ، ج ٣ ص: ٤٩٢ . و رواه أيضاً أبو داود ، و صححه الألباني ، سنن أبي داود ، بيروت دار الفكر دت ، القرص المضغوط ،: مكتبة البيت المسلم الشاملة ، مؤسسة الخطيب للبرمجيات ، الأردن .

^٤ رواهما كلهم ثقات ما عدا : علي بن زيد بن جدعان ، ففيه لَيّن و ليس بالثبوت . الذهبي : الكاشف ج ١ ص: ١٧٨ ، ٣١٣ ، ج ٢ ص: ٤٠ . و ابن حجر : تقريب التهذيب ، حققه محمد عوامة ، ط ١ سوريا ، دار الرشيد ، ١٩٨٦ .

فأمرت و نهيت ، فقال له : قال لي النبي -عليه الصلاة و السلام- ((يا محمد ستكون فرقة و فتنة و اختلاف ، فاكسر سيفك ، و اقطع وترك ، و اجلس في بيتك)) ففعلت ما أمرني^١ . و هناك أربعة أحاديث أخرى متشابهة المتون ، فيها أمر نبوي صريح ، لمحمد بن مسلمة باعتزال الفتنة و عدم الخوض فيها ، أولها أن الرسول -صلى الله عليه و سلم- قال له : ((إذا رأيت الناس يقتتلون على الدنيا فاعمد بسيفك على أعظم صخرة في الحرة ، فاضربه بها ، ثم اجلس في بيتك حتى تأتئك يد خاطئة ، أو منية قاضية)) ، ثم قال محمد بن مسلمة : ففعلت ما أمرني به رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ((^٢ .

و الحديث الثاني ، فيه أن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- أعطى سيفاً لمحمد بن مسلمة ، -رضي الله عنه- و قال له : ((جاهد بهذا ، في سبيل الله ، فإذا اختلفت أعناق الناس ، فاضرب به الحجر ، ثم ادخل بيتك ، فكن حلساً ملقى ، حتى تأتئك يد خاطئة ، أو منية قاضية))^٣ . و في الحديث الثالث ، أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- جاء -أيام الفتنة- إلى محمد بن مسلمة ، و قال له : ((ما خلفك عن هذا الأمر ؟ فقال له : دفع إلي ابن عمك -يعني الرسول- سيفاً و قال لي : قاتل به ما قوتل العدو ، فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً ، فاعمد به

^١ أحمد بن حنبل : المصدر السابق ، ج ٣ : ٤٩٣ . و الذهبي : السير ، ج ٢ : ٣٧١ . و البخاري : التاريخ الكبير ، ج ١ : ١١ .

^٢ الحديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، و رجاله ثقات . علي بن أبي بكر الهيثمي : مجمع الزوائد ، القاهرة دار الريان للتراث ، ١٤٠٧ ، ج ٧ : ٣٠١ .

^٣ رواه الطبراني في المعجم الكبير ، و رجاله ثقات . نفسه ج ٧ : ٣٠١ .

إلى صخرة فاضربه بها ، ثم ألزم بيتك حتى تأتيك منية قاضية ، أو يد خاطئة)) فقال علي خلّو عنه ^١ .

و آخرها -أي الحديث الرابع- فيه أن رسول الله - عليه الصلاة و السلام - قال لمحمد بن مسلمة: ((إنها ستكون فتنة و فرقة و اختلاف ، فإذا كان كذلك فأنت بسيفك أحدا فاضربه حتى ينقطع ، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة ، أو منية قاضية)) ، ثم قال محمد بن مسلمة -أيام الفتنة- : فقد فعلت ما قاله لي رسول الله -عليه الصلاة و السلام - ^٢ .

و منهم -أيضا- أسامة بن زيد -رضي الله عنه- فإنه عندما أرسل مولاه حرملة إلى علي بن أبي طالب زمن الفتنة ، قال لمولاه عن علي ، إنه يسألك عن تخلفي عنه ، فقل له يقول لك : ((لو كنت في شدة الأسد لأحببت أن أكون معك فيه ، لكن هذا الأمر لم أره)) ^٣ . و في رواية أخرى عن معمر بن راشد عن الشهاب الزهري ، أن عليا لقي أسامة - رضي الله عنهما - فقال له : ما كنا نعدك إلا من أنفسنا يا أسامة ، فلم لا تدخل معنا - أي في القتال - فقال له : يا أبا حسن ، إنك و الله لو أخذت بمشفر -أي الشفة- الأسد لأخذت بمشفره الآخر معك حتى

^١ أحمد بن حنبل : المصدر السابق ج ٤ ص: ٢٢٥ .

^٢ رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، و رجاله ثقات . الهيثمي : المصدر السابق ج ٧ ص: ٣٠١ . و رواه أيضا ابن ماجة ، و صححه الألباني ، سنن ابن ماجة ، القرص المضغوط : مكتبة البيت المسلم الشاملة ، مؤسسة الخطيب للبرمجيات ، الأردن .

^٣ البخاري : صحيح البخاري ط ٣ بيروت ، دار ابن كثير ج ٦ ص : ٢٦٠٢ .

نهلك جميعا ، أو نحيا جميعا ، و أما هذا الأمر الذي أنت فيه ، فو الله لا أدخل فيه))^١ .

و أما الصحابي سلمة بن الأكوع ، - رضي الله عنه- فإنه لما استشهد عثمان -رضي الله عنه- و حدثت الفتنة اعتزل الناس ، و خرج من المدينة إلى بادية الرّيزة و سكنها ، و تأهل بها و لم يلبس شيئا من الفتنة . و عندما قيل له : لماذا تعرّبت -أي أصبح أعرابيا- قال : إن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- أذن لي في التعرّب و سكن البادية^٢ .

و منهم الصحابي الجليل : أبو هريرة -رضي الله عنه- فقد اعتزل الفتنة و لم يلبسها^٣ ، و يبدووا أنه اتخذ هذا الموقف تمسكا بالحديث المشهور عن اعتزال الفتنة ، لأنه هو أحد رواته ، فقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ، أن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- قال : ((ستكون فتن القاعد فيها خير من القوائم ، و القوائم فيها خير من الماشي ، و الماشي فيها خير من الساعي ، و من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذبه))^٤ .

و منهم -أيضا- الصحابي أهبان بن صيفي البصري -رضي الله عنه- فإنه عندما اعتزل الفتنة ، جاءه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- و طلب منه أن يلتحق به ، فقال له : نعم ثم دعا جارية له بأن تأتيه

^١ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص: ٥٠٤ .

^٢ البخاري : المصدر السابق ج ٨ ص : ٢٥٩٧ . و ابن حجر : فتح الباري ، ج ١٣ ص: ٤٢ .

^٣ ابن تيمية : منهاج السنة ط رشاد سالم ج ٨ ص: ١٤٦

^٤ صحيح البخاري ، ج ٦ ص: ٢٥٩٤ .

بسيفه ، فأخرجته فإذا هو من خشب ، و قال لعلي : ((إن خليلي ابن عمك -صلى الله عليه و سلم- عهد إلي إذا كانت الفتنة بين المسلمين ، فاتخذ سيفاً من خشب ، فإن شئت خرجت معك ، قال علي : لا حاجة لي فيك و لا في سيفك ^١ .

و منهم الصحابي عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- ، فقد حرص على ألا يقترب من الفتنة أبداً ، و لا يكون سبباً في قتل أحد ، و كان يقول : من قال حي على الصلاة أجبتة ، و من قال : حي على قتل أخيك المسلم و أخذ ماله ، فلا ^٢ . و عندما كلفه علي بن أبي طالب -بعدما بايعه الناس- بالذهاب إلى الشام ليتولى إمارته ، اعتذر له و ترجاه بأن يعفيه ، فلم يقبل منه ، فظل ابن عمر يبحث عن المعاذير ، و استعان عليه بأخته حفصة أم المؤمنين -رضي الله عنها- ثم خرج ليلاً إلى مكة فارا دون علم من علي ، فلما سمع بأمره سكن ^٣ .

و آخرهم الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي سرح -رضي الله عنه- ، كان والياً لعثمان بن عفان -رضي الله عنه- على مصر ، فلما سمع باستشهاده سنة ٣٥ هـ اعتزل الفتنة ، و التحق بفلسطين فرارا من منها

^١ روى الخبير أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص : ٦٩ ، و ج ٦ ص : ٣٩٣ . و ابن ماجه ، و الترمذي ، و صحيحه الألباني . سنن ابن ماجه كتاب الفتن ج ٢ ص : ١٣٠٩ . و سنن الترمذي ، كتاب الفتن ج ٤ ص : ٤٩٠ ، القرص المضغوط : مكتبة البيت المسلم الشاملة ، مؤسسة الخطيب للبرمجيات ، الأردن .

^٢ إسناد هذا الخبر حسن ، قاله المحقق . الذهبي : السير ، ج ٣ ص : ٢٢٨ .

^٣ رجال هذا الخبر ثقات ، و هم : ابن عيينة ، و عمر بن نافع ، عن أبي ، عن ابن عمر . نفس المصدر ج ٣ ص : ٢٢٤ .

- أي الفتنة - فبقي بها إلى أن وافته المنية ، و هو في الصلاة ، سنة ٣٦ هـ

١

و من مظاهر الاعتزال الجماعي للفتنة ، أنه روي أن علي بن أبي طالب عندما ندب أهل المدينة للخروج معه للقتال لم يوافقوه ، و أبوا الخروج معه ، فكلم عبد الله بن عمر شخصيا للخروج معه ، فقال له : أنا رجل من المدينة . ثم كرر عليهم دعوته للسير معه عندما سمع بخروج أهل مكة إلى البصرة ، فتناقل عنه أكثرهم ، و استجاب له ما بين : ٤-٧ من البدرين^٢ .

و أما الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة ، و كان لهم فيها نشاط بارز في دعوة الناس إلى اعتزالها ، فأولهم أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - فكان يجمع الناس في الكوفة ، و يحذرهم من المشاركة في الفتنة ، و يذكرهم بما سمعه من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في دعوته لاعتزال الفتن . فمن ذلك أنه كان يقول لهم : يا أيها الناس إن هذه الفتنة ، فتنة باقرة كداء البطن ، لا ندري أنى تؤتى ، تأتیکم من مأمنکم ، و تدع الحليم كأنه ابن أمس ، قطعوا أرحامکم ، و انتصلوا رماحکم^٣ .

^١ البخاري : التاريخ الكبير ، ج ٥ ص : ٢٩ . و النووي : تهذيب الأسماء ، ج ١ ص : ٢٥٤ .

^٢ ابن كثير : المصدر السابق ج ٧ ص : ٢٣١ ، ٢٣٤ .

^٣ روى هذا الخبر ابن أبي شيبة ، عن غندر محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي وائل شقيق بن أبي مسلمة . (ابن أبي شيبة : المصنف ، حققه كمال الحوت ، ط ١ الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٠-٩ هـ ، ج ٧ ص : ٥٢٤) . و هؤلاء الرواة ثقات . الذهبي : السير ج ٩ ص : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، و ج ٤ ص : ١٦١ . و تذكرة الحفاظ ، حققه حمدي السلفي ، ط ١ الرياض ، دار الصميعي ، ١٤١٥ هـ ، ج ١ ص : ١٤٩-١٥٠ . و رواه أيضا نعيم بن حماد بإسناد رجاله ثقات . كتاب الفتن ، حققه سمير الزهيري ، ط ١ القاهرة ، مكتبة التوحيد ، ١٤١٢ هـ ، ج ١ ص : ٦٦ . و الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص : ٢٩٤ . و ميزان الاعتدال ، حققه علي معوطي ، ط ١ بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥ ، ج ٣ ص : ٣١٥ . و ابن حبان : الثقات ، حققه السيد شرف الدين أحمد ، ط ١ بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٥ ، ج ٧ ص : ٤٤١-٤٤٢ .

و عندما حل عمار بن ياسر -رضي الله عنه - بالكوفة و شرع في استنفار الناس ليلتحقوا بجيش علي ، أنكر عليه أبو موسى الأشعري ، و أبو مسعود البدري -رضي الله عنهما - فعله ، و قالوا له : ما رأينا منك أمرا منذ أسلمت أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر . فقال عمار : ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمرا أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر^١

و من الأحاديث النبوية التي رواها أبو موسى الأشعري في صده للناس عن الفتنة ثلاثة أحاديث ، أولها أن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- قال عن أيام الفتنة : ((كسروا قسيكم ، و قطعوا أوتاركم ، و ألزموا أجواف البيوت ، و كونوا فيها كالخير من بني آدم))^٢ . و ثانيها أن أبا موسى الأشعري خطب في الناس زمن الفتنة ، فكان مما قاله لهم : ((قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- إن من بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا و يمسي كافرا ، و يمسي مؤمنا و يصبح كافرا ، القاعد فيها خير من القائم ، و القائم فيها خير من الماشي ، و الماشي فيها خير من الساعي))^٣ . و ثالثها قوله عليه الصلاة و السلام : ((إذا التقى المسلمان بسيفهما ، فالقاتل و المقتول في النار)) ، فقيل : يا

^١ روى ذلك الحاكم في المستدرة ، ج ٣ ص : ١٢٧ . و ابن أبي شيبة عن غندر محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي وائل ، و رجاله ثقات . ابن أبي شيبة : المصدر السابق ج ٧ ص : ٥٤٦ . و الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص : ١٢١ . و سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ص : ١٦١ ، و ج ٩ ص : ١٠١ .

^٢ رواه أحمد في المسند ج ٤ ص : ٤٠٨ . و الترمذي ، و صححه الألباني . سنن الترمذي ج ٤ ص : ٤٩٠ .

^٣ روي هذا الحديث من عدة طرق ، منها رواية أحمد : المسند ج ٤ ص : ٤٠٨ . و رواية البخاري عن أبي هريرة ، و هي قريبة من رواية أبي موسى ، و قد ذكرت .

رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : ((إنه كان حريصا على قتل أخيه))^١ .

و رُوي أن عليا و أصحابه كانوا منزعين من نشاط أبي موسى الأشعري ، في دعوته للناس باعتزال الطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين ، لأن عمله هذا كان يصد الناس عن الالتحاق بهم . فمن ذلك خبران ، أولهما ما رواه الطبري بقوله : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا أبو الحسن-المديني- حدثنا بشير بن عاصم عن ابن أبي ليلى ، عن أبيه أنه قال : لما سمع علي بن أبي طالب بأن واليه على الكوفة أبا موسى الأشعري يدعوا الناس إلى اعتزال الفتنة ، بعث إليه كتابا مع هاشم ابن عتبة ، يخبره فيه أنه أرسل إليه هاشم بن عتبة ليحرّض أهل الكوفة على الالتحاق به ، ثم قال لأبي موسى : ((فإني لم أولك الذي أنت فيه إلا لتكون من أعواني على الحق)) ، فلما وصل الكتاب إلى أبي موسى لم يستجب لعلي فيما أمره به من تجميع الناس و الوقوف معه . فكتب هاشم بن عتبة إلى علي يقول له عن أبي موسى : ((إني قد قدمت على رجل غال ظاهر الغل و الشنآن))- أي البغض- فأرسل إليه علي بن أبي طالب ، ابنه الحسن و عمار بن ياسر -رضي الله عنهم- ليستنفرا له الناس ، و بعث قرظة بن كعب الأنصاري أميرا على الكوفة خلفا لأبي موسى و كتب إليه يقول : ((إلى أبي موسى ، أما بعد فقد كنت أرى أن بعدك عن هذا الأمر ، الذي لم

^١ رواه ابن ماجه و صححه الألباني . السنن ، كتاب الفتن ج ٢ ص: ١٣١١ . و رواه عن أبي بكره البخاري ، و مسلم ، و أحمد ، و أبو داود ، و النسائي . العجلوني : كشف الخفاء ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ ، ج ١ ص: ٨٦ .

يجعل لك منه نصيبا ، سيمنعك من رد أمري . . . فاعتزل عملنا مذموما مدحورا ، و فإن لم تفعل فإني قد أمرته -أي قرظة بن كعب- أن ينابذك^١ ، فإن نابذته فظفر بك أن يقطّعتك آرابا)) ، فلما وصل الكتاب إلى أبي موسى اعتزل الإمارة^٢ .

فهذه الرواية صريحة في أن أبا موسى الأشعري كان يعمل على عكس سياسة علي بن أبي طالب ، مما جعله ينزعج منه و يذمه ، و يهدده باستخدام القوة ضده ، إن هو لم يعتزل إمارة الكوفة . و أن أبا موسى قد أزعج عليا و أصحابه عندما حث الناس على اعتزال الفتنة ، و عدم القتال مع أي طائفة من الطائفتين المتنازعتين . لكنني مع ذلك استبعد هذه الرواية ، و اعتقد أنها غير صحيحة في كثير مما ذكرته ، و ذلك لأمرين ، أولهما أن في إسنادها : ابن أبي ليلى عن أبيه ، و هو ليس بالقوي ، و مضطرب الحديث ، و لم يسمع من والده شيئا ، لأنه لم يدركه ، فقد توفي والده و هو طفل صغير^٣ . و هذا يعني أن إسناد الرواية ضعيف ، فيه انقطاع و إرسال .

و الثاني أن متن الرواية فيه ما ينكر و يستهجن و يستبعد ، فهي زعمت أن أبا موسى الأشعري -رضي الله عنه- كان ظاهر الغل و البغض لعلي و أصحابه ، و هذا غير صحيح ، لأن أبا موسى سبق و أن ذكرنا

^١ المنابذة هي المفارقة عن خلاف و بغض ، و من معانيها أيضا المجاهرة بالحرب . علي بن هادية و آخران : القاموس الجديد ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٩١ ، ص: ١١٨٠ .

^٢ الطبري : المصدر السابق ج ٣ ص: ٣٥ .

^٣ الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص: ١٧١ . و أبو سعيد العلائي : جامع التحصيل ، ط ٢ بيروت ، عالم الكتب ١٩٨٦ ، ص: ٢٦٦ .

أنه لم يكن يذم أحدا من المسلمين ، و إنما كان يحذّرهم من الفتنة ، و
يثبّطهم عن المشاركة فيها شفقة عليهم .

كما أن في جواب علي لأبي موسى -رضي الله عنهما- شدة و مبالغة
في الذم و التهديد و التوعّد بعزله و محاربته و تقطيعه إربا إربا إن هو أصر
على بقائه أميرا على الكوفة . و هذا التصرف -في اعتقادي- لا مبرر له و
بعيد أن يصدر عن صحابي جليل كعلي بن أبي طالب ، تجاه صحابي
جليل مسالم يدعوا إلى حقن دماء المسلمين .

و الرواية الثانية هي الأخرى للطبري ، و فيها أن نصر بن مزاحم قال
: حدثنا عمر بن سعيد ، قال حدثني رجل عن نعيم ، عن أبي مرثم
الثقفي ، قال : عندما كان عمار بن ياسر و أبو موسى الأشعري
يتجادلان في مسجد الكوفة دخل غلمان لأبي موسى المسجد و هم
يصرخون ، و يقولون أن الأشتر النخعي^١ دخل قصر الإمارة و ضربهم و
أخرجهم ، فخرج أبو موسى من المسجد و دخل قصر الإمارة ، فصاح
عليه الأشتر قائلا : اخرج من قصرنا ، لا أم لك ، أخرج الله نفسك ، فو
الله إنك لمن المنافقين قديما)) ، فقال له أبو موسى : اجلني هذه العشية ،
فقال : هي لك ، و لا تبستن في القصر الليلة . ثم دخل الناس القصر

^١ هو أحد كبار رؤوس الفتنة الذين قادوا الثورة على عثمان بن عفان ، و هو أيضا أحد كبار قادة جيش علي بن أبي طالب .

ينتهبون متاع أبي موسى ، فمنعهم الأشر و أخرجهم من القصر ، و قال :
إني قد أخرجته ، فكف الناس عنه ^١ .

هذه الرواية هي الأخرى فيها تصوير ، لما كان يقوم به أبو موسى
الأشعري في التصدي للفتنة و دعوة الناس إلى اعتزالها ، و رد فعل بعض
أصحاب علي تجاه ما يقوم به ضد سياستهم ؛ لكنها -أي الرواية- لا
تصح ، لأن في إسنادها : نصر بن مزاحم ، وهو كذاب متروك ، واهي
الحديث رافضي جلد ^٢ . و في الإسناد - أيضا - مجهول ، قال عنه عمر
بن سعيد : حدثني رجل عن نعيم . فمن هو هذا الرجل ؟ فهو إذن
مجهول العين و الحال .

و من نشاط أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- في تسكين الفتنة
بين الطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين ، إنه قبل أن يكون أحد الحكمين في
قضية التحكيم بعد معركة صفين ، فمثّل أهل العراق في اجتماعه بممثل
أهل الشام عمرو بن العاص -رضي الله عنه- فقام الاثنان بدورهما كاملا
، و اتفقا على و ثيقة عمل لوضع حد للفتنة ^٣ .

^١ الطبري : المصدر السابق ، ج ٣ ص : ٢٨ .

^٢ الذهبي : ميزان الاعتدال ، مصر دار المعارف ، ج ٤ ص : ٢٥٣-٢٥٤ .

^٣ ما يحكى عن أبي موسى أنه كان مغفلا ، و أن ابن العاص كان داهية مكارا ، و أنهما تسابا و افترقا عليه ، و غيرها من المزاعم هي أخبار لا تثبت
أمام التحقيق و النقد العلميين ، و للتوسع في هذا الموضوع أنظر لكاتب هذه السطور كتاب : قضية التحكيم في موقعة صفين ، ط ١ الجزائر ،
دار البلاغ ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص : ٣٠ و ما بعدها .

و أما الصحابي الثاني ، فهو عمران بن حصين -رضي الله عنه- فقد اعتزل الفتنة و دعا الناس إلى اعتزالها ، و نهاهم عن بيع السلاح فيها^١ . و قال ابن جرير الطبري : حدثنا عمرو بن علي - أبو حفص الصيرفي - حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا أبو نعامه العدوي ، عن حجير بن الربيع^٢ ، أنه قال : قال لي عمران بن حصين ، سر إلى قومك و اجمع ما يكونون ، فقم فيهم قائما ، فقل أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله -صلى الله عليه و سلم- يقرأ عليكم السلام ، ثم ادعوه إلى اعتزال الفتنة ، و إن اعتزالها على رأس جبل لرعي المعز ، هو أحب إلى عمران بن حصين، من أن يرمي بسهم واحد بين الفريقين . فلما ذهب إلى قومه و أخبرهم بما قاله لهم عمران بن حصين لم يسمعوا له ، و أصروا على الخوض في الفتنة و القتال فيها^٣

و الصحابي الثالث هو أبو بكرة نفيح بن الحارث - رضي الله عنه - اعتزل الفتنة و لم ينظم إلى أية طائفة^٤ . و عندما التقى بالأحنف بن قيس حاملا سيفه ، و متوجها إلى الالتحاق بجيش علي بن أبي طالب ، أوقفه و أقنعه بالعدول عن رأيه ، بعدما أخبره أن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- قال : ((إذا تواجه المسلمان بسيفهما ، فالقاتل و المقتول

^١ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ط مصر ، ج ٢ ص: ٥٠٩ . و البخاري : المصدر السابق ج ٢ ص: ٧٤١ . و البيهقي : السنن الكبرى ، ج ٥ ص: ٣٢٧ . و الطبري : المصدر السابق ، ج ٣ ص: ٣٧ .

^٢ هؤلاء الرواة كلهم ثقات ، و عنهم أنظر الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص: ٢٥٦ ، و ج ٢ ص: ٤٨٧ . و ميزان الاعتدال ، ج ٥ ص: ٣٣٨ . و ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ٢ ص: ١٨٩ . و ابن حبان : الثقات ، ج ٤ ص: ١٨٧ .

^٣ الطبري : المصدر السابق ، ج ٣ ص: ٣٧-٣٨ .

^٤ ابن عبد البر: المصدر السابق ج ٤ ص: ١٤٣٠ . و ابن تيمية: منهاج السنة ج ٨ ص: ١٤٦ . و أبو الحجاج المزني : تهذيب الكمال ، ج ١ ص: ١٤١ .

في النار ، فقيل : يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه أراد قتل صاحبه)) و في رواية : ((إنه كان حريصا على قتل صاحبه))^١

و هو قد روي حديثا نبويا فيه أمر باعتزال الفتنة ، و مفاده أن الرسول -عليه الصلاة و السلام - قال : ((ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيرا من الجالس ، و الجالس خيرا من القائم ، و القائم خيرا من الماشي ، و الماشي خيرا من الساعي ،)) فقال له أبو بكر : يا رسول الله ما تأمرني ؟ قال : ((من كانت له إبل فليتحق بإبله ، و من كانت له غنم فليتحق بغنمه ، و من كانت له أرض فليتحق بأرضه ،)) فقال له أبو بكر : فمن لم يكن له شيء من ذلك ؟ قال : ((فليعمد إلى سيفه فليضربه بحده على حرة ، ثم لينجوا ما استطاع النجاء))^٢ .

و الصحابي الرابع هو عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- فقد اعتزل الفتنة و لم يلابسها ، و عندما رأى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قد قرر الخروج إلى العراق و تهيأ له ، نهاه عن ذلك ، و قال له : ألزم منبر رسول الله -صلى الله عليه و سلم- فإن تركته لا تراه أبدا . فقال علي لأصحابه : إنه رجل صالح منا))^٣ . و في رواية أخرى أنه نصحه بعدم الخروج من المدينة ، و قال له : لئن خرجت منها لا ترجع إليها ، و لا يعود إليها سلطان المسلمين . فلم يعجب قوله بعض أصحاب علي ،

^١ البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، ج ١ ص : ٢٠ ، و ج ٦ ص : ٢٥٩٤ . و أبو داود : المصدر السابق ج ٤ ص : ١٠٣ .

^٢ رواه أبو داود ، و صححه الألباني . سنن أبي داود ، ج ٤ ص : ٩٩ .

^٣ هذا الخبر إسناده جيد ، على ما ذكره ابن حجر في الإصابة ، ج ٤ ص : ١١٩ .

فسبوه فتدخل علي و قال لهم : دعوه فنعم الرجل من أصحاب الرسول - عليه الصلاة و السلام-^١ .

و أما الصحابة الذين انتسبوا إلى إحدى الطائفتين ثم انسحبوا كلية من الفتنة ، فمنهم اثنان هما : أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البصري ، و جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنهما- ، الأول ولاه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إمارة الكوفة عندما انصرف إلى صفين^٢ . لكن أبا مسعود لم يكن راضيا عما يجري في هذه الفتنة ، فكان يخطب في الناس و يقول لهم إنه لا يجب أن تقتل الطائفتان ، و أنه يرجو أن يحقن الله تعالى دماءهم ، و يصلح ذات بينهم^٣ . و كان يقول أيضا : ((ما أود أن تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى ، فقليل له ماذا تريد ؟ قال : أن يكون بينهم الصلح . فلما قدم علي إلى الكوفة ، و سمع به ، قال له : اعتزل عملنا . فقال له أبو مسعود لما ؟ قال علي : إنا وجدناك لا تعقل عقله . قال أبو مسعود : أما أنا فقد بقي من عقلي أن الآخر شر))^٤ .

و أنه أيضا وقف مع أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- في دعوة الناس إلى اعتزال الفتنة ، تمسكا بما ورد من الأحاديث النبوية في

^١ ابن كثير : البداية ، ج ٧ ص: ١٣٤ .

^٢ الحاكم : المصدر السابق ج ٣ ص: ١٢٦ .

^٣ الذهبي : الخلفاء الراشدون ، ص: ٤٠٣ . و سير أعلام النبلاء ط بيروت ، ج ٢ ص: ٤٩٥ .

^٤ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص: ٤٩٥ .

اعتزال الفتنة و عدم حمل السلاح على المسلم^١ . و قد صحَّ أنهما أنكرا على عمار بن ياسر -رضي الله عنه- عندما قدم إلى الكوفة ليستنفر الناس على القتال ، فقالا له : ما رأينا منك أمرا منذ أسلمت ، أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر . فقال عمر : ما رأيت منكما منذ أسلمتما ، أمرا أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر^٢ .

و أما الثاني: جرير بن عبد الله ، فقد أرسله علي بن أبي طالب ، إلى معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- يدعوه لمبايعته ، ثم اعتزل الفريقين و لم يشارك في الفتنة^٣ . و يروى أن جريرا عندما اعتزل الطائفتين ، أرسل إليه علي بن أبي طالب ، يقول له : نعم ما رأيت من مفارقتك معاوية ، و إني أنزلك بمنزلة رسول الله -صلى الله عليه و سلم - التي أنزلوها ((، فرد عليه جرير بقوله : ((إن رسول الله -صلى الله عليه و سلم - بعثني إلى اليمن أقاتلهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوا حرمت دماؤهم و أموالهم)) ، لذا فأنا لا أقاتل من يقول لا إله إلا الله^٤ .

و أما الصحابي الذي اعتزل القتال في الفتنة ثم التحق بعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في النهروان ، فهو أبو أيوب خالد بن يزيد

^١ ابن حجر : الإصابة ، ج ١٣ ص: ٥٩ .

^٢ ابن أبي شبة : المصنف ج ٧ ص: ٥٤٦ . و هذا الخبر صحيح الإسناد و قد سبق تخريجه .

^٣ الذهبي : السير ج ٢ ص: ٥٣٠، ٥٣١ . و ابن حجر : المصدر السابق ج ١ ص: ٤٧٥ . و الحاكم : المصدر السابق ج ٣ ص: ٢٢٥

^٤ الذهبي : نفس المصدر ، ج ٢ ص: ٥٣٠ .

الأنصاري -رضي الله عنه- و ذلك أنه اعتزل الطائفتين المتقاتلتين في معركتي الجمل و صفين ، ثم التحق بعلي عندما أرسلته إليه أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها - فحضر معه معركة النهروان في حربه للخوارج^١ .

و ختاماً لمواقف الصحابة المعتزلين للفتنة ، أذكر هنا بأن الصحابي الذي فرح بذهاب بصره قبل حدوث الفتنة ، هو : أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي -رضي الله عنه- ، و ذلك أنه فقد بصره قبل استشهاد عثمان بن عفان- رضي الله عنه- فلما حدثت الفتنة قال : ((الحمد لله الذي متعني ببصري في حياة النبي-صلى الله عليه و سلم- ، فلم أراد الله الفتنة في عباده كف بصري عنها))^٢ .

و يتبين مما ذكرناه عن الصحابة المعتزلين للقتال في الفتنة ، أنهم اتخذوا موقفا مغايراً للطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين ، فتميزوا به و مدحتهم الأحاديث النبوية لأجله ، و صوّبت موقفهم من الفتنة . و أنهم ساهموا في تحجيم الفتنة و التخفيف من حدتها ، بفضل جهودهم في دعوة الناس إلى اعتزالها ، و تجنبهم الاكتواء بنارها . و أن من بين المعتزلين للفتنة صحابة كبار من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار ، كسعد ابن

^١ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د ت ، ج ١ ص : ١٥٣ . و الذهبي : نفس المصدر ، ج ٢ ص : ٤٠٦ ، ٤١٠ . و الطبري : تاريخ الأمم ، ج ٣ ص : ٦ . و محمد أئزون : المرجع السابق ، ج ٢ ص : ١٧١ .

^٢ روى هذا الخبر الحاكم (المستدرک ج ٣ ص : ٥٩١) . و الطبراني ، و رجاله ثقات . الهيثمي : مجمع الزوائد ، ج ٩ ص : ٣٦٣ .

أبي وقاص ، و عبد الله بن عمر ، و محمد بن مسلمة ، و سعيد بن زيد - رضي الله عنهم- و قد كانت معهم أحاديث نبوية صحيحة صريحة في ذم الفتنة و الحث على اعتزالها .

مقارنة بين الصحابة المعتزلين للفتنة و الخائضين فيها :

ذكرنا في المبحث السابق طائفة من الصحابة المعتزلين للفتنة ، و قد بلغ عددهم ستا و عشرين (٢٦) صحابيا ، من بينهم : خمسة عشر (١٥) صحابيا ، هم من أعيان الصحابة و أعلامهم ، من المهاجرين و الأنصار ، و للتذكير بهم و مقارنتهم بالصحابة الخائضين في الفتنة ، نورد جدولا مقارنا يضم أشهر أولئك و هؤلاء ، كما هو مبين في الجدول الآتي :

جدول مقارن لأشهر الصحابة المعتزلين للفتنة و الخائضين فيها

المعتزلون للفتنة	أهل الكوفة	أصحاب الجمل و الشام
سعد	علي	طلحة
سعيد بن زيد	ابن عباس	الزبير
ابن عمر	عمار بن ياسر	عبد الله بن الزبير
أسامة بن زيد	الحسن بن علي	معاوية

محمد بن مسلمة	الحسين بن علي	عمرو بن العاص
عبد الله بن سلام	سهل بن حنيف	عبد الله بن عمرو بن العاص
جرير بن عبد الله	عثمان بن حنيف	النعمان بن بشير
أبو موسى الأشعري	جابر بن عبد الله	أبو غادية الجهني
أبو مسعود البدر	خوات بن جبير	حبيب بن مسلمة
أبو هريرة	عدي بن حاتم	أبو الأعور السلمي
أبو بكرة	-	-
أهبان بن صيفي	-	-
عمران بن حصين	-	-
زيد بن ثابت	-	-
صهيب بن سنان ^١	-	-

واضح من الجدول أعلاه أن الصحابة المعتزلين للفتنة هم أكثر عدداً، وفيهم أعيان مشهورون لا يوجد مثلهم في الطائفتين الأخريين، كسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وأبي موسى الأشعري، وصهيب بن سنان الرومي، وعمران بن حصين، وأسامة بن زيد -رضي الله عنهم- و من بينهم ثلاثة مشهود لهم بالجنة، وهم : سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن سلام، وسعيد بن زيد^٢ و أما الصحابة من أهل العراق -أصحاب علي- فالمشهور منهم قليل، كما هو موضح في الجدول، على رأسهم : علي بن أبي طالب، و

^١ مصادر المعتزلين الفتنة سبق ذكرها، أما مصادر الخائضين فيها كالآتي وتخص غير المشهورين . الذهبي : الخلفاء، ص: ٣٢٩، ٣٨٩، ٣٣١.

و السير، ط مصر ج٢ ص: ٣٤٣ و ج٣ ص: ٩١. وابن تيمية: منهاج السنة ج٣ ص: ٢٢١، ٢٢٠، ١٥٦، ج٤ ص: ١٢١ .

^٢ انظر : الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١ ص: ٩٢ و ما بعدها و ١٢٤ و ما بعدها، و ج ٢ ص: ٢٩٦ و ما بعدها .

ابن عباس ، و عمار بن ياسر ، و الحسن و الحسين - رضي الله عنهم -
من بينهم واحد مشهود له بالجنة هو الإمام علي .
و نفس الشيء يقال عن الصحابة من أصحاب الجمل و الشام ،
فالمشهور منهم قليل كما هو مبين في الجدول ، و على رأسهم : طلحة
بن عبيد الله ، و الزبير بن العوام ، و معاوية بن أبي سفيان ، و عمرو بن
العاص ، - رضي الله عنهم - و يوجد من بينهم اثنان مشهود لهما بالجنة
، هما : طلحة و الزبير^١ ، و هما بالضبط من أصحاب الجمل ، أما أهل
الشام فلا يوجد فيهم من هو مشهود له بالجنة .

و ختاماً لهذا الفصل يتبين لنا منه ، أن الصحابة الكرام قد تباينت
مواقفهم من القتال في الفتنة ، فطائفتان خاضتا فيها ، و طائفة ثالثة
اعتزلتها ، و دعت الناس إلى اعتزالها ، متمسكة بأحاديث نبوية صحيحة
صريحة في ذم الفتنة و الحث على اعتزالها ، و تصويب موقف المعتزلين لها
. و أن من بين هذه الطائفة -أي الثالثة- صحابة كبار من السابقين
الأوليين من المهاجرين و الأنصار ، ساهموا في تخفيف حدة الفتنة ، و مثل
موقفهم بديلاً عن الحرب تبناه كثير من المسلمين و وجدوا فيه السلامة و
الأمان .

^١ الذهبي : المصدر السابق ، ج ١ ص: ٢٣ و ما بعدها ، و ٤١ و ما بعدها .

الفصل الثاني

ردود و مناقشات حول الصحابة المعتزلين للفتنة

خصصت هذا الفصل لدراسة و مناقشة خمس قضايا هامة تخص الصحابة المعتزلين للفتنة ، نتطرق إليها فيما يأتي تباعا ، إن شاء الله تعالى.

أولا : مجموع الصحابة المعتزلين للفتنة :

ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني، أن جمهور الصحابة خاضوا في الفتنة ، و قاتلوا فيها^١ . و هذا يعني أن قلة من الصحابة اعتزلت القتال ، و أكثريتهم خاضته . فهل قوله هذا صحيح ؟

لا أوافقه فيما قاله ، و اعتقد أنه أخطأ في فيما ذهب إليه ، لأنه توجد شواهد تاريخية صحيحة تخالفه . أولها رواية صحيحة الإسناد^٢ ذكرها معمر بن راشد ، عن أيوب السخيتاني ، عن محمد بن سيرين أنه قال : لما حدثت الفتنة كان عدد الصحابة عشرة آلاف ، لم ((يخف منهم أربعون رجلا))^٣ . و نفس الرواية ذكرها أبو بكر الخلال بإسناد صحيح ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، عن اسماعيل -ابن عليّة- عن أيوب - السخيتاني- عن محمد بن سيرين ، أن قال : ((هاجت الفتنة و أصحاب رسول الله -صلى الله عليه و سلم- عشرة

^١ الإصابة ، ج ١٣ ص: ٤١ .

^٢ إسنادهما ظاهر الصحة ، لأن رواتهما معروفين ، و هم من كبار العلماء الثقات .

^٣ معمر بن راشد : الجامع ، ج ١١ ص: ٣٥٧ .

آلاف ، فما حضر فيها مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين))^١ . فهتان الروايتان صريحتان في أن من جملة عشرة آلاف صحابي لم يشارك منهم في الفتنة إلا قلة قليلة لا تصل إلى أربعين شخصا .

و أما ما رواه الحاكم النيسابوري بإسناده عن محمد بن علي الصنعاني ، عن اسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، أنه قال : ثارت الفتنة و الصحابة عددهم ١٠ آلاف ، لم يخف فيها منهم إلا أربعون رجلا . و وقف مع علي بن أبي طالب مائتان و بضع و أربعون رجلا من أهل بدر ، منهم : أبو أيوب ، و سهل بن حنيف ، و عمار بن ياسر^٢ . فهو خبر لا يصح - بهذه الصيغة - ، متنا و لا إسنادا ، فمتنها متناقض ، لأنه نص على أنه لم يشارك في الفتنة إلا أربعون صحابيا ، ثم يذكر مباشرة أن أكثر من ٢٤٠ صحابيا بدريا و قفوا مع علي بن أبي طالب ! أليس هذا تناقض صارخ ؟ ! و هذا المتن المتناقض ترده أيضا ، الروايتان الصحيحتان اللتان سبقا ذكرهما عن محمد بن سيرين .

و أما إسنادها ، فمن رجاله : إسحاق بن إبراهيم بن عباد الديري (ت ٢٨٣هـ) ، و هو ضعيف ، روى عن عبد الرزاق أحاديث منكورة^٣ و رواية الحاكم هذه تعرضت - على ما يبدو - للتلاعب و التحريف على يد بعض رواتها ، قد يكون إسحاق بن إبراهيم بن عباد الديري ، و ربما

^١ الخلال : السنة ، ج ٢ : ص ٤٦٦ . و احمد بن حنبل : العلل و معرفة الرجال ، ج ٣ : ص ١٨٢ .

^٢ المستدرک ، ج ٤ : ص ٤٨٦ .

^٣ الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ١ : ص ٣٣٢ . و المغني في الضعفاء ، ج ١ : ص ٦٩ . و ابن عدي : المصدر السابق ج ١ : ص ٣٤٤ .

تعرضت لذلك خطأ لا عمدا . و ذلك أن الرواية في أصلها عند معمر بن راشد تختلف عن رواية الحاكم ، و فيها أن محمد بن سيرين قال : لما حدثت الفتنة ، كان عدد الصحابة ١٠ آلاف ، لم ((يخف منهم أربعون رجلا)) ، ثم قال معمر - مباشرة - و قال غيره خف مع علي بن أبي طالب ، مائتان و بضعة و أربعون ، من أهل بدر ، منهم : أبو أيوب ، و سهل بن حنيف ، و عمار بن ياسر^١ . فرواية معمر الأصلية ، فيها روايتان ، الأولى عن محمد بن سيرين و فيها مجموع الصحابة و عدد من شارك منهم في الفتنة . و الثانية خاصة بالذين قاتلوا مع علي من الصحابة ، و قد رواها معمر عن غير محمد بن سيرين ، و هذا الغير مجهول ، و قد عبر عنه معمر بقوله : ((و قال غيره)) دون أن يعرفنا به . لكن رواية الحاكم أدمجت الخبرين في رواية واحدة هي لابن سيرين ، لذلك جاءت متناقضة . مع العلم أن الخبر الثاني الذي ورد في رواية معمر ، لا يصح لأنه يفتقد إلى الإسناد ، و متنه ترده الروايتان الصحيحتان اللتان سبقا ذكرهما ، و لأنه أيضا يرده الخبر الأول الصحيح عن ابن سيرين في رواية معمر بن راشد .

و الشاهد الثاني ، ما رواه أبو بكر الخلال بإسناد صحيح ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، عن سفيان ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الشعبي أنه قال : ((لم يشهد الجمل من أصحاب النبي

^١ الجامع ، ج ١١ ص : ٣٥٧ .

- عليه الصلاة والسلام- غير علي ، و عمار ، و طلحة ، و الزبير ، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب))^١ . و نفس الرواية ذكرها احمد بن حنبل ، عن إسماعيل بن عليّة ، عن منصور بن عند الرحمن ، عن الشعبي^٢ . و رواها أيضا ابن أبي شيبة عن ابن عليّة ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الشعبي^٣ .

هذه الرواية أسانيدھا صحيحة^٤ ، و قد نصت على أنه لم يشارك من الصحابة في موقعة الجمل إلا أربعة فقط ، لا خامس لهم . و هذا يعني أن الغالبية الساحقة من الصحابة قد اعتزلوا الفتنة في هذه الموقعة . لكن مع ذلك فإن هذه الرواية -أي رواية الشعبي- بعيدة عن الحقيقة و يصعب قبولها بتلك الصيغة ، و ذلك أن الشعبي أكد على أنه لم يشارك في الجمل إلا أربعة من الصحابة ، فإن جاء غيره بخامس فهو -أي الشعبي- كذاب . لكن نحن نعلم أنه من المعروف أن صحابة آخرين كانوا مع علي بن أبي طالب في موقعة الجمل ، و منهم : عبد الله بن عباس ، و الحسن و الحسين ، و سهل بن حنيف ، و عثمان بن حنيف . و لا شك أن الشعبي لم يكن يجهل أن هؤلاء كانوا مع علي بن أبي طالب ، يوم الجمل . فلماذا إذن قال ذلك ؟ .

^١ السنة ، ج ٢ ص: ٤٦٦ .

^٢ أنظر : العلل و معرفة الرجال ، ج ٣ ص: ٤٥ .

^٣ أنظر : المصنف ، ج ٧ ص: ٥٣٨ .

^٤ هي ظاهرة الصحة ، لأن فيها : عبد الله بن أحمد بن حنبل ، و أحمد بن حنبل ، و سفيان الثوري ، أو سفيان بن عيينة ، و أما الباقيون و هم : ابن عليّة ، و منصور بن عبد الرحمن ، و الشعبي ، فهم ثقات أيضا ، و عنهم أنظر : الذهبي : السير ، ج ٩ ص: ١٠٧ و ما بعدها . و المغني في الضعفاء ، ج ٢ ص: ٦٧٨ . و أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال ، ج ٢٨ ص: ٥٤٠ . و ابن حجر : لسان الميزان ، ج ٧ ص: ٥٠٩ .

قد يقال أن الشعبي أراد بذلك كبار الصحابة السابقين من المهاجرين و الأنصار ، و هم : علي و عمار ، و طلحة و الزبير ، و لم يكن يقصد صغارهم . و هذا احتمال وارد جدا ، لكن الرواية تردده ، فهي قد ذكرت الصحابة مطلقا دون تمييز ، و حددتهم بأربعة لا خامس لهم . لكن الذي يثبت ذلك الاحتمال ، و يفسر مقصود الشعبي ، و يرجح بأن الرواية قد حدث فيها سقط و التباس ، هو أن الطبري روى بإسناده عن الشعبي أنه قال : ((بالله الذي لا إله إلا هو ما نهض في تلك الفتنة -دون تحديد للمعركة- إلا ستة بدريين ما لهم من سابع ، أو سبعة ما لهم ثامن))^١ . و في رواية أخرى عن الشعبي أنه قال : ((بالله الذي لا إله إلا هو ، ما نهض في ذلك الأمر إلا ستة بدريين ، ما لهم من سابع))^٢ . فواضح من هاتين الروايتين أن الشعبي لم يكن يقصد مطلق الصحابة ، و إنما قصد البدريين فقط ، و قد حددهم بستة إلى سبعة ، شاركوا في الفتنة -الجملة و صفيين- و كان قد حددهم بأربعة فقط شاركوا في موقعة الجمل ، حسب روايته الأولى . و بذلك يكون ما رواه الشعبي دليل آخر على أن غالبية كبار الصحابة قد اعتزلوا الفتنة ، و لم يلابسها إلا قليل منهم .

و الشاهد الثالث هو أن الصحابة المعروفين الذين شاركوا في الفتنة ، و المذكورة أسماؤهم في التواريخ و التراجم ، عددهم محدود جدا ، و قد

^١ تاريخ الطبري ، ج ٣ ص: ٦ .

^٢ نفسه ، ج ٣ ص: ٦ .

أحصيت منهم نحو ٣٥ صحابيا^١ . و هذا يعني أن غالبيتهم قد اعتزلوا الفتنة ، فلو كان عددهم فيها كبيرا لعرفنا منهم أكثر من ٣٥ صحابيا أضعافا مضاعفة . و أما ما رواه اليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ) من أنه شارك مع علي ١١٠٠ صحابي ، و قدرهم المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) ب : ٢٨٠٠ صحابي^٢ . فهو زعم باطل لا دليل عليه ، لأن الروايات الصحيحة السابقة الذكر ، تبطل ما زعمه اليعقوبي و المسعودي . و لأن المصنفات الأخرى التي أرخت للفتنة لم تذكر ذلك العدد الكبير ، لا من حيث الأسماء و لا من حيث العدد . كما أن مبالغة هذين المؤرخين في العدد من و رائها النزعة الشيعية ، فهما شيعيان متطرفان كما هو واضح في كتابيهما ، و الشيعة عند المحققين لا وزن لرواياتهم ، لأنهم يتعمدون الكذب^٣ .

كما أنه لا يخفى علينا أن المؤرخين اليعقوبي و المسعودي ، لم يذكرا للخبر - الذي زعماه - إسنادا ، لكي ننقده و نتعرف على صحته من سقمه . و بما أنهما لم يذكرا الإسناد فروايتاهما مردودتان ، لأنهما فقدتا شرطا أساسيا من شروط نقد الخبر لتمييز صحيحه من سقمه . و حتى إذا افترضنا جدلا صحة ما زعمه اليعقوبي و المسعودي ، فإن عدد الصحابة المشاركين في الفتنة يبقى قليلا ، و المعتزلون لها يبقى عددهم كبيرا ، لأن مجموع عدد الصحابة - عند بداية الفتنة - قدر ب : ١٠

^١ بعضهم سبق ذكرهم ، و عن الباقي أنظر : الذهبي : الخلفاء ص : ٣٢٩ .

^٢ تاريخ اليعقوبي ، بيروت دار الفكر ، ١٩٥٦ ، ج ٢ ص : ١٣٤ . و مروج الذهب ، الجزائر ، مؤتم للنشر ، ج ٢ ص : ٤٢١ .

^٣ ابن تيمية : منهاج السنة ج ١ ص : ١ .

آلاف ، فأين ٢٨٠٠ صحابي الذين زعم المسعودي أنهم كانوا مع علي ، من ذلك المجموع العام ؟ ! .

و الشاهد الرابع هو أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لما طلب من أهل المدينة الخروج معه للتصدي لأهل مكة و الشام ، ثاقل عنه أكثرهم ، و لم يستجب له إلا ما بين : ٤-٧ من البدرين^١ . و هذا يعني أن المدينة - عاصمة الخلافة الإسلامية - ، التي كان يسكنها كثير من الصحابة ، لم يخرج منهم مع علي إلا عدد قليل .

و أخيرا يُستنتج مما ذكرناه أن الغالبية العظمى من الصحابة قد اعتزلوا الفتنة ، ما عدا قلة قليلة منهم قد شاركت فيها ، يقدر عددها بالأربعين صحابيا ، و قد يزيد على ذلك أو يقل . مما يثبت أن ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني من أن جمهور الصحابة قد شاركوا في الفتنة ، هو غير صحيح تماما .

ثانيا : هل كان المعتزلون للفتنة على خطأ ؟ :

ذهب الباحث أبو الأعلى المودودي إلى القول بأن الصحابة المعتزلين للفتنة ، كانت نواياهم حسنة أملا في درئها ، لكن موقفهم منها أدى إلى تفاقمها ، و بث الشك في قلوب الناس ، و كان على الأمة أن تتعاون مع علي بن أبي طالب لاستعادة الأمن و السلام للخلافة^٢ . و هذا يعني أن المعتزلين كانوا على خطأ في اعتزالهم للفتنة ، و أنهم ساهموا في تفاقمها .

^١ ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٧ ص : ٢٣١ ن ٢٣٤ .

^٢ الخلافة و الملك ، الجزائر ، دار الشهاب ، د ت ، ص : ٧٦-٧٧ .

فهل ما ذهب إليه المودودي صحيح ؟ . لا أوافقه على كل ما قاله ، و ردي عليه ستركز فيما يأتي :

أولا إن كبار الصحابة المعتزلين للفتنة ، كانت معهم أحاديث نبوية صحيحة صريحة - سبق ذكرها - في الحث على اعتزال الفتنة ، و قد مدحهم فيها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و صوّب موقفهم منها . لذا فهؤلاء لم يكن في وسعهم ترك الأحاديث التي سمعوها من النبي - عليه الصلاة و السلام - ، ثم الالتحاق بالفتنة ليخوضوا في دماء المسلمين .

و ثانيا أنه صح عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أنه حث على اعتزال الفتنة ، في قوله : ((ستكون فتن القاعد فيها خير من القوائم ، و القوائم فيها خير من الماشي ، و الماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به))^١ . و في حديث آخر قال فيه عليه الصلاة و السلام ، للحسن بن علي : ((ابني هذا سيد ، و لعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين))^٢ . و واضح من هذين الحديثين أن اعتزال الفتنة هو الصواب ، و هو المطلوب شرعا ، و أن الصلح محبوب عند الله تعالى ، و أولى من القتال الذي خاضته الطائفتان الأخريان .

و ثالثا أن المعتزلين للفتنة قد احتجوا بأحاديث نبوية صحيحة تمسكوا بها دعما لموقفهم ، لكن الخائضين في الفتنة لم تكن معهم نصوص شرعية

^١ البخاري : صحيح البخاري ، ج ٨ ص : ٩٢ .

^٢ نفس المصدر ج ٨ ص : ٩٨-٩٩ .

كالتى عند المعتزلين ، تأمرهم بالقتال في الفتنة و إنما اعتمدوا على
اجتهاداتهم و آرائهم ، و مثال ذلك أن علي بن أبي طالب -رضي الله
عنه - عندما غادر المدينة متوجها إلى العراق ، قال له أحد أتباعه : ((
اخبرنا عن مسيرك هذا ، أعهد عهده إليك رسول الله -صلى الله عليه
و سلم- أم رأي رأيته ؟ فقال علي : ما عهد إلينا رسول الله -صلى الله
عليه و سلم- بشيء ، و لكنه رأي رأيته))^١ . و في رواية أخرى أن عليا
خطب في الناس فقال : ((إن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- لم
يعهد إلينا في الإمارة شيئا ، و لكن رأي رأيناه))^٢ . فمن الأولى بالصواب
، المعتزلون للفتنة المتمسكون بالأحاديث النبوية ، أم الخائضون فيها
المعتمدون على الرأي و الاجتهاد و لا أحاديث معهم ؟ !

و رابعا أن مما يدل على أن المعتزلين للفتنة كانوا على صواب في
موقفهم منها ، هو أن بعض كبار الذين خاضوا في الفتنة ، ندموا على
خوضهم فيها ، منهم : علي و ابنه الحسن - رضي الله عنهما - فقد
صح أن علي قال لابته الحسن -يوم الجمل- يا حسن ليت أباك مات
قبل عشرين سنة . فقال له الحسن : قد كنت أنهارك عن هذا . فرد عليه :
يا بني لم أر أن الأمر يبلغ هذا . و في رواية أخرى أنه ضم الحسن إلى
صدره و قال : إن لله يا حسن ، أي خير يرجى بعد هذا ؟^٣ . و يروى

^١ رواه أبو داود ، و صححه الألباني . سنن أبي داود ج ٤ ص: ٢١٧ . و رواه عبد الله بن أحمد في السنة ، ج ٢ ص: ٥٦١ .

^٢ رواه عبد الله بن أحمد بإسناد صحيح ، نفس المصدر ج ٢ ص: ٥٧٠ . و البخاري : التاريخ الكبير ، ج ٤ ص: ٣٣ . و الخطيب البغدادي :
المصدر السابق ج ٣ ص: ١٦٥ .

^٣ عبد الله بن أحمد : نفس المصدر ج ٢ ص: ٥٦٦ . و ابن كثير : البداية ، ج ٧ ص: ٢٤٧ . و الحاكم : المستدرک ، ج ٣ ص: ٤٢٠ . و ابن عبد
البر : الاستيعاب ، ج ٣ ص: ١٣٧١ .

أنه قال للحسن ليالي صفين : يا حسن ما ظن أبوك أن الأمر يبلغ هذا ^١ . هذا و غيره هو الذي أوجب على علي بن أبي طالب أنه لو استقبل من أمره ما استدبر، ما فعل ما فعل ^٢ .

و خامسا أن مما يصوّب موقف المعتزلين للفتنة ، أن هذه الفتنة لم تحقق للمسلمين مصلحة في دينهم و لا في دنياهم ، فنقص الخير و ازداد الشر ، و سفكت الدماء ، و قويت العداوة و البغضاء ، و تفرّقت الأمة شيعة و أحزابا ، و لم يجتمع الناس على إمام واحد ، و ضعفت طائفة علي التي كانت أقرب إلى الحق ، و قويت طائفة معاوية . و معلوم أن الفعل الذي تكون مصلحته راجحة على مفسدته يحصل به من الخير أعظم مما يحصل من عدمه ، فترك القتال كان أفضل و أصلح و أخير ^٣ .

و سادسا أن مما يدل على صواب موقف المعتزلين للفتنة ، أنهم باعترالهم لها فعلوا المأمور و المستحب شرعا ، اعتمادا على ما كان معهم من الأحاديث النبوية ، عكس الخائضين في الفتنة ، الذين لم يكن خوضهم فيها واجبا و لا مستحبا ، و كان تركهم له خير من فعله ، لأنه قتال فتنة ^٤ .

و سابعا أن كثيرا من كبار الصحابة السابقين من المهاجرين و الأنصار ، كسعد ، و أبي هريرة ، و ابن عمر ، و سعيد بن زيد ، و صهيب ، و محمد بن مسلمة ، و غيرهم رضي الله عنهم ، قد اعتزلوا

^١ الذهبي : السير ، ج ١ ص : ١٢٠ . و الخلفاء الراشدون ، ص : ٣٣٦ . و ابن تيمية : المصدر السابق ، ط بيروت ، ج ٣ ص : ١٨٠ .

^٢ ابن تيمية : نفسه ، ج ٣ ص : ١٨٠ .

^٣ نفس المصدر ، ج ٢ ص : ١٥٦ ، ٢٠٤ ، ٢٢٣ . و مجموع الفتاوى ، ج ٤ ص : ٤٤ .

^٤ ابن تيمية : منهاج السنة ، ج ٤ ص : ٣٩٢ ، ٤٤٨ .

الفتنة و لم يوافقوا عليا و طلحة و الزبير -رضي الله عنهم- في خوضهم للفتنة . و هؤلاء الأكابر -المعتزلون للفتنة - على حبهم لعلي و تقديمهم له لم يوافقوه على أمر القتال ، و لم ينظموا إليه^١ . فدل كل ذلك على أن موقفهم هو الأصح و الأولى بالاتباع .

و بصفة عامة فان مشاركة المعتزلين للفتنة في القتال بجانب علي بن أبي طالب ، ما كانت لتضع حدا للحرب على ما ذهب إليه أبو الأعلى المودودي ، بل تزيدها ضراوة ، لأن كل أطراف الحرب كانت مصرة على مواقفها . أفليس عدم خوضهم فيها أضعفها و جنب كثيرا من الناس الاكتواء بها ؟ . مع العلم أن المعتزلين للحرب لم ينكروا حق علي في الخلافة و أهليته لها ، و إنما خالفوه عندما عزم على القتال ، و هم لم يكونوا على استعداد للخوض معه في دماء المسلمين ، و ترك قناعاتهم و ما سمعوه من رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ، و يتبعون عليا في رأي رآه ندم عليه فيما بعد ، و خالفه فيه كثير من كبار الصحابة . و هو - أي علي - في خوضه للقتال لم يحقق ما كان يرجوه ، فلا هو اقتص من قتلة عثمان ، و لا انتصر على أهل الشام ، و لا تحكّم في جيشه . و لماذا لا يقال - أيضا- إنه كان في مقدور علي أن يضع يده مع المعتزلين للقتال ، و يتعاون مع المطالبين بدم عثمان ، ليقص من المجرمين ، و تسقط حجة المطالبين بالاقتصاص كشرط للبيعة ، و بذلك يعود الأمن و السلام للخلافة الإسلامية ؟ ، لكنه لم يفعل ذلك .

^١ ابن تيمية : المصدر السابق ، ج ٦ ص: ٣٣٣ .

و ختاماً لما ذكرناه في هذا المبحث ، يتبين لنا منه أن موقف الصحابة المعتزلين للقتال في الفتنة ، كان صواباً تدعمه أدلة كثيرة على مستوى النصوص الشرعية ، و الشواهد النظرية و العملية .

ثالثاً : هل ندم ابن عمر على اعتزاله للفتنة ؟ :

ذكر ابن عبد البر أن الأخبار صحت ، من أن الصحابي عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - ندم على اعتزاله للفتنة ، و أنه قال : ما آسى على شيء ، كما آسى أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب^١ . فهل صحيح أنه ندم على عدم مشاركته في القتال مع علي ؟ هذا ما أجيب عنه من مناقشتي لما قاله ابن عبد البر .

أولاً فقد روي عن عبد الله ابن عمر - رضي الله عنه - ما يعارض ذلك ، فإنه قال -بعد الفتنة - : ((كففت يدي ، فلم اندم ، و المقاتل على الحق أفضل))^٢ . و ثانياً أن تلك الرواية ذكرها ابن عبد البر بلا إسناد ، و هي إن صحت فمن المحتمل جداً أن ابن عمر يقصد بالفئة الباغية الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب و حاربه ، و هم الذين صحت الأحاديث النبوية في ذمهم و تصويب موقف من قاتلهم^٣ .

^١ الاستيعاب ، ج ١ ص: ٧٧ .

^٢ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص: ٢١٣ .

^٣ للتوسع في ذلك أنظر : ابن كثير : البداية و النهاية ، ج ٧ ص: ٣٠٩ و ما بعدها

و ثالثا أنه صحّ الخبر عن ابن عمر أنه قصد بالفئة الباغية الطاغية
الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقد روي^١ عن روح بن عباد ، عن العوام بن
حوشب ، عن عياش العامري ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : ((لما
احتضر ابن عمر ، قال : ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث :
ضمّاً الهواجر ، و مكابدة الليل ، و أني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا
، يعني الحجاج))^٢ .

و رابعا أنه لا يمكن أن يترك عبد الله بن عمر الأحاديث النبوية الكثيرة^٣ ،
التي ذمت الفتنة ، و حثت على اعتزالها ، و صوّبت موقف المعتزلين لها
، ثم هو يتخذ موقفا مغايرا لذلك و هو من أشد الصحابة تمسكا بالسنة
كما هو مشهور عنه .

و خامسا أنه لا يعقل و من المستبعد جدا أيضا ، أن يندم عبد الله
بن عمر - رضي الله - على عدم مشاركته في الفتنة بجانب علي بن أبي
طالب ، و علي و ابنه الحسن - رضي الله عنهما - قد ندما على ما
أقدا عليه في الفتنة ، و قد سبق و أن أثبتنا ذلك^٤ .

و سادسا أنه من المستبعد جدا أن يندم ابن عمر على عدم فعل
عمل مكروه ، طهر الله يده منه ، و هو فعل ليس بواجب و لا بمستحب

^١ الإسناد صحيح ، على ما ذكره المحقق . الذهبي : السير ، ج ٣ ص: ٢٣٢ .

^٢ نفسه ، ج ٣ ص: ٢٣٢ .

^٣ سبق ذكرها في الفصل الأول .

^٤ أنظر : المبحث الثالث من الفصل الثاني .

، لأنه قتال فتنة غير مأمور به ، و تركه خير من فعله^١ . و لأنه أيضا جرّ على المسلمين الويلات و المآسي . فهل يندم ابن عمر على ذلك و هو الذي صح عنه أنه كان يقول - أيام الفتنة - : ((من قال حي الصلاة أجبته ، و من قال : حي على قتل المسلم ، و أخذ ماله ، فلا))^٢ .

و بناء على ما ذكرناه يتبين لنا منه أن ما روي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - من أنه ندم على اعتزاله للفتنة و عدم قتاله بجانب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - هو خبر مستبعدا جدا ، و أن الأصح أنه لم يندم على موقفه ، وأنه قصد بالفئة الباغية الحجاج بن يوسف و حزيه .

رابعا : هل أخطأ سعد بن أبي وقاص في اعتزاله للفتنة ؟ :

روى الحاكم النيسابوري عن أبي زكريا يحيى بن محمد العنبري ، عن إبراهيم بن أبي طالب ، عن علي بن المنذر ، عن ابن فضيل ، عن مسلم الملائي ، عن خثيمة بن عبد الرحمن ، أنه قال : سمعت رجلا قال لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن عليا يقع فيك لتخلفك عنه ، فقال سعد : ((و الله إنه لرأي رأيته ، و أخطأ رأي)) ، ثم قال سعد : إن عليا أعطي ثلاثا لئن أكون أعطيت إحداهن أحب إلي من الدنيا و ما فيها ، منها قول الرسول - صلى الله عليه و سلم - لعلي : ((من كنت

^١ ابن تيمية : المصدر السابق ، ج ٢ ص : ٢٢٠ .

^٢ الهبي : المصدر السابق ج ٣ ص : ٢٢٨ .

مولاه فلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، و عاد من عاداه))^١ . فهل ما رواه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص صحيح ؟ .

أولا إن إسناد تلك الرواية غير صحيح ، لأن من رجاله : مسلم بن كيسان الملائني ، و هو ليس بثقة ، و متروك الحديث^٢ . و هذا وحده دليل كاف لرد الرواية كلية ، لأنها فقدت شرطا أساسيا من شروط صحة الخبر .

و ثانيا أن الحديث الذي ورد في الرواية أنكره كثير من العلماء ، و من صححه منهم صحح منه القسم الأول منه فقط ، و هو : ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) ، و قالوا أن الجزء الثاني زاده الناس^٣ . و هذا يعني أن الرواية موضوعة تلاعب بها الرواة و ادخلوا فيها ذلك الحديث غير الصحيح . و مما يزيد ذلك تأكيدا أنه لو صح ذلك الحديث لما تخلف سعد بن أبي وقاص ، و كبار الصحابة المعتزلين للفتنة ، عن الالتحاق بعلي بن أبي طالب ؛ و بما أنهم تخلفوا عن فعلا ، دل ذلك على بطلان الرواية و الحديث معا .

^١ المستدرك على الصحيحين ، ج ٣ ص: ١٢٦ .

^٢ الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٦ ص: ٤١٩ .

^٣ أنظر : ابن تيمية : المصدر السابق ج ٧ ص: ٣١٩ ، ٣٢٠ . و عبد الله بن يوسف الزيلعي : نصب الراية ، حققه يوسف البنوري ، مصر ، دار الحديث ، ١٩٨٣ ، ج ١ ص: ٣٦٠ ، و الذهبي : السير ، ج ٥ ص: ٤١٥ . و أحمد بن حنبل : فضائل الصحابة ، ج ٢ ص: ١٠٥ . و المسند ج ١ ص: ١٥٢ . و ابن عدي : الكامل في ضعفاء الرجال ، ج ٣ ص: ٨٠ .

و ثالثاً أنه مما يزيد تلك الرواية ضعفاً و استبعاداً أنها ذكرت أن سعدا قال : ((إن علياً أعطي ثلاثاً لئن أكون أعطيت إحداهن ، أحب إلي من الدنيا و ما فيها)) و هذا كلام لا يصدق على سعد ، لأنه فعلاً أعطي أحسن من ذلك ، و أعظم مما في الدنيا ، و هي الجنة ، فقد بشره بها رسول الله -عليه الصلاة و السلام-^١ .

و رابعاً أن مما يضعف تلك الرواية أيضاً ، أن سعدا في اعتزاله للفتنة لم يكن شاكاً و لا متردداً في موقفه من الفتنة ، بل كان مقتنعاً به داعياً إليه ، فعندما جاءه ابنه عمر - و هو معتزل للفتنة - يدعوه للمشاركة في الفتنة ، ضرب على صدره ، و قال له : اسكت ، سمعت رسول الله - عليه الصلاة و السلام- يقول : ((إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي))^٢ . و عندما جاءه رجل - أيام الفتنة - و قال له : مع أي الطائفتين أنت ؟ قال : ما أنا مع واحد منهما . فقال الرجل : فما تأمرني ؟ قال سعد : هل لك من غنم ؟ قال الرجل : لا ، فقال سعد : فاشتر غنماً فكن فيها حتى تنجلي الفتنة^٣ .

و خلاصة ما ذكرناه ، أن ما رواه الحاكم النيسابوري من أن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه - اعترف بأنه كان على خطأ في اعتزاله للفتنة ، هو خبر غير صحيح ، لم يثبت إسناداً و لا متناً .

^١ الذهبي : نفس المصدر ج ١ ص: ١٠٣ .

^٢ مسلم : صحيح مسلم ، ج ٤ ص: ٢٢٧٧ .

^٣ انظر المبحث الثاني من الفصل الأول .

خامسا : هل شارك الصحابي أبو أيوب في موقعتي الجمل و صفين ؟

سبق و أن ذكرنا أن الصحابي أبا أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - كان من بين الصحابة المعتزلين للفتنة ، لكن ابن عبد البر ذكر أن ابن الكلبي و ابن إسحاق قالا أن أبا أيوب شهد الجمل و صفين مع علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه^١ . و روى غيره أن أبا أيوب في التحاقه بعلي في الجمل و صفين ، كان يردد حديثا عن رسول الله -عليه الصلاة و السلام- يقول فيه : ((إن رسول الله عهد إلينا أن نقاتل مع علي الناكثين -أي أصحاب الجمل - فقد قاتلناهم ، و القاسطين -أي أهل الشام -فهذا وجهنا إليهم ، و المارقين -أي الخوارج - فلم أرهم بعد))^٢ . فهل يصح ذلك عن أبي أيوب ؟ .

أولا إن رواية ابن عبد البر ، عن ابن الكلبي ، و ابن إسحاق ، ضعيفة الإسناد ، لأن هشام بن محمد الكلبي متروك رافضي ، ليس بثقة^٣ . و محمد بن إسحاق بن يسار متهم بالكذب ، و كثرة التدليس ، و قال عنه الدارقطني : لا يحتج به^٤ .

^١ الاستيعاب ، ج ٤ ص: ١٦٠٦ .

^٢ الذهبي : السير ، ج ٢ ص: ٤١٠ .

^٣ الذهبي : ميزان الاعتدال ، ط مصر ، ج ٤ ص: ٣٠٤ . و ابن الجوزي : الضعفاء و المتروكين ط ١ بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ ، ج ٣ ص: ١٧٦

^٤ الذهبي : المغني في الضعفاء ، ج ٢ ص: ٥٥٢-٥٥٣ . و السير ، ج ٧ ص: ٣٣ . و السيوطي : طبقات الحفاظ ، ط ١ بيروت ، دار الكتب العلمية ج ١ ص: ٨٢ .

و ثانيا أنه توجد روايات تاريخية أخرى تخالف ما رواه ابن عبد البر ، و تؤكد على أن الصحابي أبا أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - لم يشهد مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - معركة صفين ، و إنما التحق به عند قتاله للخوارج في موقعة النهروان^١ .

و ثالثا أن الحديث الذي رُوي أن أبا أيوب الأنصاري كان يردده في قتاله مع علي بن أبي طالب ، في معركتي الجمل و صفين ، هو حديث غير صحيح ، رده أهل الحديث^٢ ، و ذكره بعضهم ، - كابن الجوزي ، و السيوطي ، و الشوكاني - في الأحاديث الموضوعة^٣ .

و بذلك يتبين لنا جليا أن ما رواه ابن عبد البر عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - من أنه التحق بجيش علي قبل معركة النهروان ، و أنه كان يردد حديث الناكثين و القاسطين ، هو خبر لم يثبت ، و أن الأصح أن أبا أيوب اعتزل الجمل و صفين ، و لم يلتحق بعلي إلا في معركة النهروان سنة ٣٨ هـ .

^١ أنظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١ ص: ١٥٣ . و الذهبي : السير ، ج ٢ ص: ٤٠٦ ، ٤١٠ . و الطبري : المصدر السابق ج ٣ ص: ٦ . و محمد أنجزون : تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ، ج ٢ ص: ١٧١ .

^٢ الذهبي : نفس المصدر ، ج ٢ ص: ٤١٠ ، ٤٣٦ . و ميزان الاعتدال ، ج ٢ ص: ١٣٨ ، و ج ٥ ص: ٤٥٠ . و العقيلي : ضعفاء العقيلي ، حققه أمين قلعي ، ط ١ ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ ، ج ٢ ص: ٥١ .

^٣ أنظر : ابن الجوزي : الموضوعات ط ١ المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، ١٣٨٦ ، ج ٢ ص: ١١ . و السيوطي : اللآلئ المصنوعة ، ط ١ ، بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ ، ج ١ ص: ٤١٠-٤١١ . و الشوكاني : الفوائد المجموعة ، ط ٣ ، بيروت المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧ هـ ، ج ١ ص: ١١٣٦ ، ١١٨٣ .

و ختاماً لما ذكرناه في هذا الفصل ، يتبين لنا منه أن الغالبية الساحقة من الصحابة قد اعتزلوا الفتنة ، و إن قلة قليلة منهم قد خاضت فيها . و أن هؤلاء المعتزلين لها كانوا على صواب في موقفهم منها ، متمسكين بما كان معهم من الأحاديث النبوية عن ذم الفتنة و اعتزالها . و تبين أيضاً أن ما قيل عن ندم ابن عمر عن اعتزاله للفتنة ، و أن سعدا اعترف بخطئه في موقفه منها ، هو أمر لم يثبت ، و أن الصحيح أنهما بقيا على موقفهما الأول من الفتنة .

الخاتمة

توصلت من دراسة قضايا هذا البحث إلى جملة نتائج ، منها : إن الصحابة المعتزلين للقتال في الفتنة يمثلون الغالبية الساحقة من الصحابة الكرام ، وكانت معهم أحاديث نبوية صحيحة صريحة في ذم الفتنة و الحث على اعتزلها ، و تصويب موقف من ابتعد عنها . و قد كان على رأس هؤلاء صحابة كبار من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار ، ساهموا بفاعلية في التخفيف من حدة الفتنة ، و دعوة الناس إلى اعتزلها . و أما الصحابة الخائضون فيها – أي الفتنة – فكان عددهم قليلا قد يصل إلى أربعين صحابيا ، أو يقل عن ذلك و أو يزيد بقليل .

و تبين أيضا أن الصحابة المعتزلين للفتنة كان موقفهم منها صحيحا صوابا ، أيدته الأحاديث النبوية الصحيحة الكثيرة التي سبق ذكرها ، و دعمته الآثار السلبية المدمرة التي انجرت عن القتال في الفتنة ، فزاد الشر و قل الخير ، و تفرّق الناس شيعا و أحزابا ، و أصبح بأسهم بينهم شديد ، و تكبدوا في أنفسهم خسائر بشرية كبيرة .

تم بحمد الله تعالى

فهرس المحتويات

(-) المقدمة :

الفصل الأول

الصحابة المعتزلون للقتال في الفتنة

- تباين مواقف الصحابة عن القتال في الفتنة
- اشهر الصحابة المعتزلين للفتنة
- مقارنة بين الصحابة المعتزلين للفتنة و الخائضين فيها

الفصل الثاني

ردود و مناقشات حول الصحابة المعتزلين للفتنة

- أولا :مجموع الصحابة المعتزلين للفتنة
- ثانيا: هل كان المعتزلون للفتنة على خطأ ؟
- ثالثا : هل ندم ابن عمر على اعتزاله للفتنة ؟
- رابعا :هل أخطأ سعد في اعتزاله للفتنة ؟
- خامسا :هل شارك أبو أيوب في الجمل و صفين؟

(-) فهرس المحتويات :